نادي الأدب بالشرقية

محمود عبد الحفيظ

قلب طالع ع المعاش

شعر

أصوات معاصرة
أسسها د . حسين على محمد
أبريل ١٩٨٠

المراسلات
١٣ ش مدرسة التجارة – ديرب نجم – شرقية
مجدي محمود جعفر-٠٥٥٣٧٦٧٩٨٦

" فإن تمنعوا ليلى وحسن حديثها

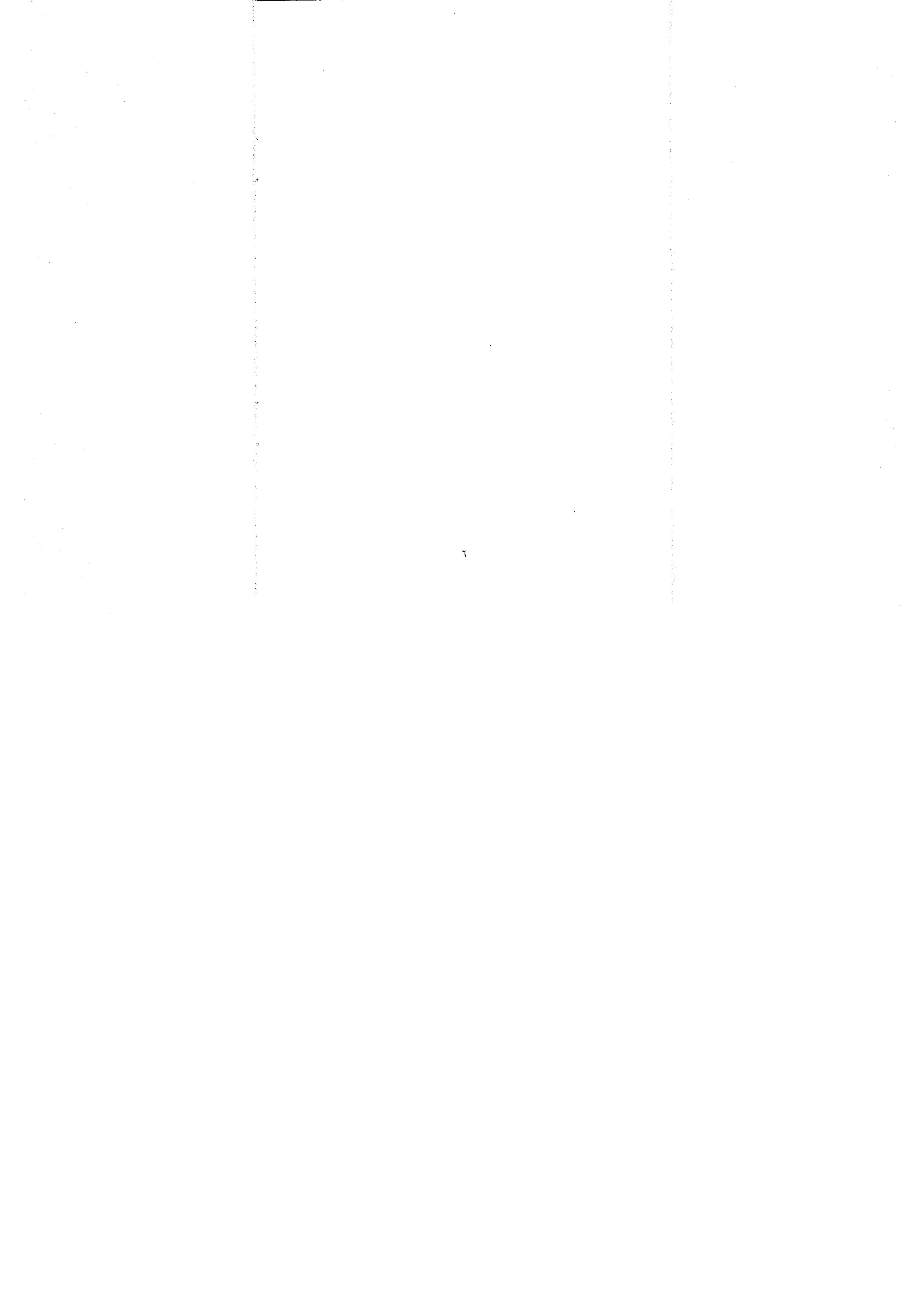
فلن تمنعوا مني البكا والقوافيا "

إلى عطر الياسمين ..

محمود . .

" لماذا خلقت الطيور الصغيرة بهذه الرقة . والمحيط بهذه القسوة ؟ إن المحيط رقيق ورائع ، ولكنه يستطيع أن يكون قاسيا ويتغير على هذا النحو فجأة ، ومثل تلك الطيور المحلقة تغوص وتتصيد .. إنها بأصواتها الرقيقة الحزينة أرق من أن تواجه البحر " .

(سانتياجو ، الفصل الأول من " العجوز والبحر "



(١)

لما الجبل يعلى تغيب الشمس من قبل المعاد
يفلت حصان القلب خايف ..
من ضلام الليل .. ومن قهر البعاد
يفتح كتاب العشق .. يقرا ..
يمكن الشعرا – اللي ما فيه حد منهم ..
لما سافر تاني عاد.
يمسحوا الدمع ف عيونه ..
يلقى دا ودع هريرة ..
ودا على الأطلال بيبكي ..
ودا بيصرخ ع الجبل ، بانت سعاد !!
....
الدقة دى اللى ف قلبى مش دقة حياة
وانا يستحيل ..
بعد الرايات الحمرا أرفع راية بيضا وارتمي..
أو خلف أسواري القديمة أحتمي ..

أو كلما جف الصهيل ..

أجتر أحزاني واقول حان الرحيل ..

واندس في جحر الكلام والجعجعة

دي معمعة ..

ترضى ما ترضى لك مكانك ع الطريق

وما دمت ما نزلتش غريق ..

ممكن تعيش ..

لازم تعيش

وما دمت فارس ..

إوعى ييجي الليل يشوف ..

أحلامك الخضرا حزينة مدمعة

....

وما دمت من جدرك ما يقدرش الزمن يوم يقلعك ..

أو يبلعك

حترد فيك تاني الحياة..

وعلى اللي خانوك السلام

حتعيش كمان سنتين تلاتة في الضلام ..

ياما ليالي ع القمر بتفوت ..

وياما بينحبس في القلب والحلق الكلام

....

مين اللي قال الدمع في عيونك يعيبك ؟

مين اللى قال ان الزمن مش راح يجيبك ؟

مين اللى قال ان الجناح ..

مهما يفيض بيه التعب مش راح يسيبك ؟

مين اللى قال ان الحبيب ..

لمَّا الحياة تدهس عليك ..

وتمد له بين السما والأرض جنة ..

يفتكرلك أي حاجة عملتها ويفضل حبيبك ؟؟!!

....

شد حيلك ترجع الشمس اللي غابت

الحبال الدايبة سابت

والسهام الطايشة خابت

والبلاد اللي ما عمرك عبت فيها ياما عابت

لكن القلب اللي جواك لسه عايش

لسه طلقة ..

طلقة واحدة خلي بالك ..

من يمينك .. من شمالك

طلقة واحدة وبعدها .. يا إما طابت

تبقى صابت ..

يا العمى .. وساعتها ما تعرف دي شابة ..

ولّا شايت ...

....

طلقة واحدة ..

والدبابة كتيرة ع السكة بتعوي ليل نهار

والعيون اللي انت قلت تونّسك ما لهاش قرار

مرة لسة صغيّرة ..

مرة انا متحيّرة ..

مرّة حبيتك .. ولكن ..

خايفة لايزيد العيار

طلقة واحدة وقلب واحد ..

والأمل بينك وبينه البحر والليل والتتار

تعمل ايه ؟؟؟؟؟

.... ، ...... ، ....

هيَّ دي فيها اختيار ؟!!

(٢)

الشمس في قلب السما متسمرة
والصيف عفاريته على سطوح البيوت متشمرة
وعلى الطريق صريّخ ما تلقى ..
وان لقيت .. ما تلقى شبرين ضل
الصهد خلى الدم في عروق الحياة ينشل
الإيد يا دوب تمسح عن الوش العرق
والرّجل فوق الأرض حمل سنين ..
على ضهر الزمن هدّه انخرق
وانت الوحيد واقف بطولك ع الطريق ..
بعيون حزينة بحلم واحد ..
من زمان متعمَّرة
والشمس في قلب السَّما متسمَّرة

....

صوتك في قلبي ..
ألف حاجة بتاخده مني بعيد بعيد

صوتك في قلبي ألف حاجة بتخنقه
وان عيني غفلت مرة واحدة في السنة ..
أحلم بصوتك والعساكر جاية واخداه في الحديد ..
بتعلقه على أعلى جامع في البلد .. وبتشنقه
وعيون كتيرة جاية من كل السكك متتمَّرة
والشمس في قلب السما متسمَّرة

....

صوتك في قلبي كان زمان ... هوَّ الأمان
كنت اسمعه .. وكأني باسمع صوت أدان
صوتك في قلبي ..
زي صوت " رفعت " في أول ليلة في رمضان
وانا من زمان محروم من الأحضان
لا عيون تدفّي القلب نظرتها .. ولا فيضان
صوتك بعد ..
رقصت عفاريت النهار في الضل
والصهد خلى الدم في عروق الحياة ينشل
عشش في قلبي الحزن .. والفرح انقتل

سنتين تلاتة القلب أصبح للهموم مستعمرة
والشمس في قلب السما متسمرة
....
لو كان بايدي أشتري الدنيا ..
واخلّي في إيدك المفتاح
لو كان بإيدي أعرف الغيب والقدر..
واختار لك الأفراح
نفسي اوعدك ..
قلبك على شطّي أنا يرتاح
نفسي أوعدك ..
لكن الزمن واقفلي بالمرصاد
فارد شباكه ..
لا افتكر ضحكة عيونك لمّا أشتاق لك ..
ولا يطلع صباح
نفسي اوعدك ..
لكن صواريخ الزمن منصوبة فوق الشّط
طار الحمام أو حط

قاصداني انا ..
الليل بطوله أزرعه أحلام هنا ..
وعند الحصاد ..
ألقى سفينتي ع الشُّطوط متدَّمرة
والشمس في قلب السما متسمَّرة
....
قلبي زرعته لاجلك انت جنينة ..
فيها الورد .. والياسمين
وحلفت ما يدخلها غيرك حتى لو كان مين
واخترت لك أجمل نجوم طالعة ف سما ..
واخترت لك أجمل عيون متبسمة
واخترت لك أجمل طريق تمشي عليه
وقريت عليك ألف تعويذة حسد
وفتلت حبلين من مسد ..
لا يلمحك راجل .. ولا ..
تخطر على بالي ، ... ، ...
والشمس في قلب السما متسمَّرة

(٣)

ما اعرفشي ليه لمَّا الزمن يضحك باخاف
يمكن عشان القلب في عيون الزمن دا ياما شاف ؟؟!!
أول جواب ..
شفت الحروف طالعة على وش الورق عصافير ..
الكلمة عصفورتين تلاتة بالكتير ..
قلبي انخطف ..
تاني جواب الفرح من قلبي انقطف ...
واترشقت كل الحروف مسامير
....
الناس كتيرة ع الطريق ..
لا حد يعرفني .. ولا أعرف حدا
صعبان عليَّ إن قلبي اللي ابتدا ..
مش هوّدا ...
قلبي اللي انا علمته ، لمَّا تعوم تعيش ..
يرجع مفيش ؟!
يرجع غريق ؟!

والناس كتيرة ع الطريق

....

ولا يتعبك يا قلب قد الأسئلة

آدي الورق .. وادي القلم ....

وادي بياض الصفحة بعد البسملة

وف حصة العربي المدرس قال عليك ،

أحسن ولد يكتب كلام ،

بعد التحية والسلام ....، ..... ، .....

....

جفّ القلم لمَّا الكلام في القلب جف

وعلى الورق رسم العرق والدمع كف ،

خمسة ف تمانية باربعين

والعشق بعد الأربعين يبقى ترف

والناس كتيرة ع الطريق مصفوفة صف

والبغبغان جوه القفص عمَّال يقول

ليه انحرف .. ليه انحرف .. ليه انحرف ..؟!!

(٤)

الشرق شرق القلب .. والغرب الرحيل
والشمس لمَّا تميل تجيب ضلك وراك
قلبي انعصر بينك وبين المستحيل
الدَّقة واحدة ازاي يكون فيها اشتراك ؟؟
تالت جواب كان الخريف دق البيبان
الريح بتصفر ع الشجر ... والبغبغان ..
لابد وفى عيونه المدى خطين عدم
واحد ندم ..

والتاني ما تخطي عليه أول قدم ..
إلا وتنزل شقلبان
ورق الخريف طاير بيصرخ في الفضا
وعلى المخدة دمعتين ..
والشمعتين ،
واحدة انطفت ..
والتانية بتعافر يا دوب اسمك يبان
ييجي الشتا يلم الشتات اللى انفرط
أندس فى هدومى واسيب قلبى يبحلق فى السما
الليل طويل ..
ولا تسمعى إلا المطر يسقى فدادين السكوت
تفلت يا دوب نجمة .. وترجع تختفي
يا بيت حبيب القلب طل وقول ، أنا ..
وازاى أجيلك واعرفك وسط البيوت ؟!!

....

بكره التلات ..
ضفرت شعر الأمنية وكحّلتها وذوّقتها ...

بكره التلات كل الحاجات اللى الشتا خباها ..
جالها وقتها ..
بكره التلات والبغبغان جوه القفص عمّال يقول :
بكره التلات .. بكره التلات .. بكره التلات ..
حاسب وحاذر الانفلات
الفرحة يا ما بتمسك القلب العفى وبتعصره
سيبوا العيون تحكي وتقول
والشوق دا مهما يكون جبل ..
تنزل عليه نظرة عتاب واحدة بحنان وتكسره
....
كان المطر في الليل بيغسل في الطريق ...
طلعت عليه الشمس نادى .. قلت آه
والله زمان ...
لا فرحت بك ولا قلبي شاف
ما اعرفشي ليه لمّا الزمن يضحك باخاف ؟!!!
....
رابع جواب كان اعتذار

وطلبت مني الانتظار ..
لما الشتا يمسح دموعه .. والنهار ، ..
يقدر يخلي الكلمة تجري ع اللسان
....
في اسكندرية ...
كنت باقدر أمسك الخيط البعيد من أوله ،
أهرب من الزحمة وعيون الأصدقاء ...
وافضل مع الموجة اللى جاية من بعيد
أعصر خلايا الذكريات ...
وكأنى فى تدريب نيشان ...
لكن عشان ..
ألضم فى ثقب الإبرة طرف الخيط ..
ألاقي الموجة عني اتحولت ..
والطرف يرخيه العرق ..
من بين صوابعى ينفلت

(٥)

ألفين سلام لك يا صلاح يا جاهين
ريَّحتني ...... ودبحتني
ما اعرفشي إمتى المعنى دا ف قلبك خطر
وانت على باب الصِّبا ... سيكا وصبَا ؟
ولاَّ على باب الخطر ،
لمَّا الشتا فاتك وما نزلش المطر
" عالم من الهمس ..من غير أمس .. من غير غد
الشمس ليلى .. القمر ليلى .. السؤال والرَّد
ليلى .. ومجنونها قيس هايم يقول ليلى
دى مهما كانت لغيرى وقسمتى مايلة ..
الروح مادام طايلة .. ما يهمش تنول اليد "
....
خامس جواب النجوم قالت مانيش طالعة
مش عايزة اكون السبب في نارك الوالعة
شاعر في إيدك قلم ..والعشق في قلبك
إيه اللى ناقصك تغني وتحبك الطلعة ؟؟

(٦)

بلدِ ما تبكى عليك ما تبكى عليها
لو كل غربان الهموم حواليها
وان جت وحقت نفسها ارجع ليها
دى كرامتك انت .. والكرامة كرامة

....

أفنيت حياتك تبكى مستقبلها
تضحك على هبل الزمن وهبلها
قلبك بألفين مرحبا استقبلها
وهيَّ شايفة وجودك انت غرامة

....

وطّي يا واد ...
وطي يا بنت ...
والأرض لا أرضي .. ولا ضل الشجر
المغربية يهلّ أولاد الغجر ..
على كل باب ،
لقمة يا خالة والنبي ..
والخالة م النجمة بتسأل نفسها ،

يتعشوا إيه أولادك السبعة ؟

يتعشوا إيه ؟؟

ضحنك فضي وزمنك فجر ..

والأرض لا أرضى .. ولا ضلّ الشجر !!

....

بعد الصلاة يتجمعوا الأولاد ..

نلعب على قد البدن ما يحتمل

فرح القلوب ماله مدى ...

لكن الطريق م الصبح للمغرب يهدك .. لو جمل

....

(حامد) يجيب ورق السجاير ..يقطّعه ..

ويرقعه ..

فوق الشفايف يبقى " ناي "

ما احناش غناى ..

لكن بنقدر كل ليلة نفرَّح القلب الحزين ،

(أهل الهوى يا ليل فاتوا مضـــاجعهم

واتجمَّعــوا يا ليل صحبة وانا معهم)

....

(٧)

ولا تنطفي ناري الا لمّأ عيوني في عيونك تنااااام
ولا تنطفي ناري الا لمّا القلب يرجع بالسلامة ..
وع السطوح المغرمة يحط الحمااااااام
ولا تنطفي ناري الا لمّا الضل يفرد ع الطريق ..
يا ما آلاف السيارات رايحة وجاية ع الطريق ..
ياما آلاف الطيارات رايحة وجاية في السما ..
ياما شوارع في المدن ..
ياما سفن ..
ياما بلاد هناك بعيد
وأكيد أكيد ..
بين السما والأرض موجودة انت دلوقتي ف مكان ..
طب هوّ فين ؟؟!!

(٨)

الشمس نار .. والأرض نار
والقلب لا بيسكت .. ولا بياخد قرار
والانتظار ..
دايرة . آخرها زي أولها . مرار
تعلى بيوت ..تحجب عن عيوني الفضا
يعلى شجر .. يحجب عن عيونى القمر
يعلى النهار ...
أحتل دورى في طابور الانتظار ..
تاني – ويسحبني المدار

(٩)

(أفادنى الطبيب ،
دواء جرحك الرضا والانتظار
ورغم كل هذه الأسوار ..
سوف تهطل الأمطار ..

على السهول والتلال

وسوف تبسم الأوراق عن ثمار البرتقال.

وقال لى :

تعود هذا العام نجمة مسافرة

شطت بها النوى ..

وضاقت اللغة

انظر .. هى التى تحلُ الآن فوق شطآن الهوى ..

ضفائر المراوغة) .

....

آخر النهار ..

أرجع أنا للشرق ... وانت تغرَّبي

لا بتبعدي البعد اللى يقفل باب .. ولا بتقرَّبي

طب جرَّبي ..

وان كنت خايفة م العيون .. وبتهربي ..

علشان حمام القلب لسّه بيبتدى يعرف يطير ..

أنا ممكن استنى سنة ..

سنة مش كتير ..

....

سنة مش كتير ؟؟!

وكأن في جرابك يا حاوى ميت سنة

شال الحمام .. حط الحمام .. فاتت سنة

وكمان سنة

جرحى صرخ .. والحيط شرخ

شدّيت رحال العشق .. ونويت السفر

....

بلدِ تشيل ..

بلدِ تحط ..

الفرح بالخوف القديم فيَّ اختلط

فيه شيء غلط ..

حسيت بقلبي بيرتمى من فوق جبل ..

في بحر واسع ماله شط

فيه شيء غلط ..

(١٠)

((لا وهن العظم ..
ولا اشتعل الرأس ، ولا هدَّتني الأسفار
يتبارى بين ضلوعي برد الليل ودفء الأشواق
هل يمضي العمر الليل وراء الليل ..
ومن بعد الليل نهار ؟
هل يمضي العمر وليس يهيج البحر ..
وليست تنهمر الأمطار ؟
هل يمضي العمر ولا تأتين ؟
أم يطلع وجهك من بين الأشجار ...
على شطآن الليل المنسية ...
يطفئ نار القلب الأبدية)) ..

(١١)

خد لك حتة من قلبي يا عم
خد لك حتة من قلبي يا خال
خد لك حتة يا صاحبي .. يا جار
خد لك حتة يا سواق التاكسي .. يا بنَّا .. يا نجَّار
خد لك حتة من قلبي ومن عيني ومن فكري
من غنوة عمري
خد لك طوبة من البيت اللى انهد .. من الموَّال
خد لك حتة من كل اللى اتقال
لكن أرجو ما تسألنيش
ما تعطلنيش
خد كل اللى تحبه وسيبني أسأل نفسي ،
كيف الحـــــــــــــال ؟؟!!

(١٢)

" الزعفرانة ع الخليج .. "
والطيارات الإسرائيلية ما تهدا ..
ساعة واحدة ليل نهار
فى السما .. أو في المطار
" تبة زبيب " .. " مرسى علم "
والشط نار
ومن السويس للغردقة أخد وعطا
والفرش مش قد الغطا
قال الكبير : لازم قرار
واحنا ف " قنا " مات الكبير
ودّع ضيوفك يا جميلة ولمّا عاد ..
ساعتين ونام
وف ليلة الإسرا انتقل ..

حط الحمام

....

أبكي عليك ولّا على النيل الحزين

ولّا على الأرض اللى كنت في حضنها نبع الحنان

ولّا على الناس اللى طال بيها الحنين

بعد المدى .. واسودّ في الوش الزمان

....

مات الكبير اللى اشتكى صبره زمانه وما اشتكى

مات الكبير اتفجّري في القلب يا عيون البكا

الراديو كان عمّال يذيع

" محفوظ عزب .. قائد سريتنا .. بكى

وبكى الجميع

....

آخر معارك قلبك المهدود أجّلها

لا سلاح في إيدك ..ولا جماهير تهتف لك

والكبرياء اللى فيك مين اللى حيشيلها

وغيب عن المهزلة اللى جاية أشرف لك

(١٣)

وانت صغيّر ... عصفور
ما اتهنّتش بزمن العصافير
كان لازم تبقى كبير ... وكتير
كان لازم تفرد ... وتفرّع ..
كان لازم تبقى الشجرة البيت
كان لازم وانت صغير ...
تعرف تيجى منين اللقمة
والهدمة ..
والسكر والشاي ... والزيت
يمكن غيرك كان عايش في دهب وحرير
لكن وانت صغيّر .. كان لازم تبقى كبير

(١٤)

(يأتي عليك الليل ...
قلبك الكبير متعب ... وقلبك الصغير
لا الصيف يأتي بالذي توده ... ولا الشتاء
على الصراط بين الممكن البعيد ...
والاستحالة ....
يعبر الطريق وحده صغيرك الوحيد ...
محاصرا بدمدمات الحقد والنّذالة
تأوي إلى مضاجع الهموم كل ليلة ...
مكفنا بذكرياتك التى كانت ... وبالنّبالة
أدمنت كبرياءك المدبّبة
وأمنياتك المحبّبة
حتى متى وأنت كل يوم ...
تموت ألف مرة ...
نيابة عن الذين أدمنوا الغياب والسفالة)

(١٥)

دي حاجتك انت يا زمن ..
ودي حاجتي انا
دي سكتي .. ودي سكتك
قلّبني واشويني وخلي الدنيا تسمع شكّتك
ومرة واحدة في السنة ...
لمّا الحبيب يرجع من السفر البعيد ...
بعد الصيام .. ونقول دا عيد ..
أرجوك ما اشفش خلقتك
وان كان ضروري تمد ايدك يا زمن ..
وتشد مني مركبي ..
بشويش وحياة النبي

(١٦)

كبر الصغير واستوى ..
عرف الهوى ..
دبلت عيونه من السهر
واتفتّح الورد اللى يا ما فات عليه
لا اهتم به .. ولا بص ليه
ولمّا داق طعم الحاجات اللى الهوى بيعملها فيه ..
طار فوق جميع الممنوعات
والموضوعات
ولا عاد بيسأل ، فين ... وليه ..؟!

....

شجن البعاد لوّن عيون الليل بعطر الفضفضة
والذكريات بتخلّي أنفاس الحياة تملا الفضا
وتنام على شط الوجع تواريخ ..
ينزل عليها الطّل يغزلها حكايات
يخضر طعمك يا وجع.

(١٧)

بكره الخميس ...
حتسافري تاني وتبعدي
وعيونك الحلوين مفيش فيهم كلام
حتى السلام ... كان إيد في إيد
وارجع وصوتك تاخده مني ...
ألف حاجة بعيد بعيد
مع إني سبت عيوني في عيونك تنام

لكن ملامحك ...
كل ما ابعد خطوة واغرق في الضلام ..
تبعد وتغرق في الزحام
وكأني لا شفتك ولا قلبي فرح !!
....
الصيف بياخد قلبي مني .. وع السّكك ..
يرميه مشاع .
ألقى اللى انا لميته في الليل انفرط ع السكة ..
واتبعتر .. وضاع
الكل ماشي إلا انا ..
طاير بادوّر في العيون عن شيء يفكرني بعيونك .
والعيون ..
كرابيج على ضهري اللى من همّه انحنى
والكل ماشي إلا انا.

الخطوة داقت والطريق لسَّاه طويل .
حِملك على ضهرك تقل .. والمستحيل ..
يضحك تشيل
والناس ما تحكم إلّا في آخر السبق ..
آخر السبق هوّ الدليل

....

يونيو .. شهر التواريخ الهمّ
بلدك .. أمك ... قلبك
وف يوليو التواريخ تلتم
سنة حلوة يا جميل
ياللى ما ضحك ف وشك خال ولا عم
ولا حد اهتم ..
إلا في تسعين
لمّا الشعر ابيضّ وعضّ
والمولد شطّب وانفض .

(١٩)

كنت اشتكي أيام ما كان العمر يسمح .. والشباب

كانت عيوني ،

ع الطريق مرّة .. ومرّة ع الكتاب

لمّا استلمت البندقية وشفت ع الشط الكلاب ..

أجّلت حاجتي كلها ..

ورسمت صورتك ع الخليج

....

(وعلى الخليج ..

علمت قلبي كيف يعشق أرضه ..

ويؤجّل الأحلام حتى ينتقى وطنًا لها ...

وقرى تقيم العرس فى وضح النهار

علمته أن الطريق إلى عيون الأمهات ..

يضيئه ومض الشفار

أنّ الفرار ..

عار .. وأن الصمت عار

أن البدايات التى تهتزُّ فى رحم تموت ..

أن البيوت على البراكين القديمة ...

لا يقرّ لها قرار)

(٢٠)

إن كنت في سنين الغياب ..
فرّقت أحزانك على الجوابات
وارتحت وانت بترمى فى الصندوق هموم ..
لا ارتحت انا ..
ولا كان لى فى عيون البلد صناديق
كنت امًّا يصرخ فىَّ شوقي وحانفجر ..
ينسد فى عيونى الفضا ..
ما القاش لسرِّى صديق .
....
مين اللى قال : يخلق من الشبه اربعين ؟
ولا زى حزنى فى الزمن دا شبيه
مين اللى يقدر يبقى دا حزنه اللى عمّال ينهشه ...
ويستحمله ورغم الضنا يخبيه ؟؟

(٢١)

فى الميكروباص ..
مزنوق ما بين الثرثرة والبارفانات
وعيون بتغمز من ورايا لبعضها ..
أو حتى قدّامى ... خلاص ..
راجل كبير واش فهّمه فى شغل البنات !!
وان كنت راكب جنب شباك افتحه
ما القاش على طول الطريق غير إعلانات

وأكيد أكيد ..

بين السما والأرض موجودة انت دى الوقت فْ مكان ..

طب هوّ فين ؟؟!!

....

أنزل هنا

حتما أكيد من كل بدّ

أنزل هنا قبل ان أخش ف مزلقان ...

أو ادوس _ وانا غايب عن الوعى اللى ياما ..

غيبت عنه _ أى حد

أنزل هنا لو كل حاجة ف دنيتى مايلة

والروح ما دام طايلة ..

ما يهمش تنول اليد ،

أنزل هنا قبل ان ما تعلى الموجة وتغطّى ..

لا يردّها شطّى ..

ولا يقدر عليها سد .

....

على قدّ ما الأيام بتجرى بينا .. بتهدّى

ولوحدها تعدّى

حلمك على قدّ اللى في الإيد اوزنه

ما دمت مش قادر تمد الإيد وتمسك حلمها

لا تمدّ فى القلب الأمل .. ولا تخزنه

ولا تشتكى الأيام وتبكى ظلمها

....

مين اللى حيسيبك تقف ع الكوم وتاخد حصتك

مين اللى فاضى يسمعك ..

تحكى وتعيد فى قصتك

ما تفضّها وخلّيك ورا..

ولّا الليالى رغم كل اللى جرى ..

لا نسّيتك ولا نستّك؟

" يا ناقتي في ضلام الليل دِلّى بى
نحو الحبايب أطفي النار دى اللى بى
شديت على بكر باتع .. قلت يجرى بى
رمى حموله علىّ ..
والتفت قال لى :
أنا اعذر اللى ما يعرفش تجاريبى "

....

قلبك حصان شارد ...
وعقلك يلجمك
إطعمها يا طول الزمن ما يحرمك
[وإذا الليالي أكرمتك سويعة ...
فاقنع بها] ... إمتى الليالي بتكرمك ؟!!

....

(٢٣)

كان الغنا بيسند ضهورنا فى غيطان الأغنيا

بنوطى آه .. لكن بتعلى الأغنية

كان العرق والدمع يحجب عنّى أوراق الشجر

لكن ما يحجب مهما سرسب جوّه قلبى الأمنية

....

وف عز ما احنا بنسمعك
تقعد معانا ندلّعك
تزعل شويّة نرجّعك
تسند علينا نطلّعك
تحكى لنا حدوتة .. ونحكيها معك
حطيت رحالك مرّة واحدة وارتميت
ولا عمرنا يخطر على بالنا فى يوم حنودعك ..
يصعب على الدّنيا بكانا
والبكا ما يسمّعك
....
أنا لمّا حبيتك يا بنت الناس حبيتك
وف حبة القلب جوّة القلب خبيتك
لا اعرف خيلانك ولا اعمامك ولا بيتك
أعرف عيونك.
وفي عيونك رميت السِّر
ليه النهارده وانا مالى سفين ولا برّ ..
ما تلبّى لى ندا .. وانا ياما لبيتك ..!!

(٢٤)

بقى لى عشرين سنة عايش بتدبيرى
طالت حبال الدّلا .. ما عكرت بيرى
وانت اللى لسّه يا دوب ع السكة بسم الله
طيّرت نومى ... وفوّعتِ دبابيرى
....
بينى وبينك قطر واقف ع الرصيف
نازلِ أنا ..
وانت اللى لسّه بتركبى
والناس بتخلى الشطّ يرسى مركبى
سلمت ع الشطّ البطاقة والجواز والتذكرة
وختمت أوراقى اللى فاضلة كلها بختم الرجوع
نازل أنا .. وانتِ اللى بادية فى الطلوع .

(٢٥)

(القادمون على الطريق لهم قلوب ...
لم تزل بكرًا ... وأنت جميلة .
فتهللى .. وتهدّلى ..
وتنزّلى مطرا يعيد الأرض جنّات .. ويبتعث الربيعا
عبثا تراودني عيونك ..
إنني أغلقت أبوابى جميعا
أسكتُّ فى قلبى نداءاتى .. وأكرمت الدموعا
إنى أنمت الطفل ..
أنزلت الستائر كلها حولى _ وأطفأت الشموعا
إنى أحب الآن أحزانى ولا أنوى الرجوعا
إن كنت عاشقة .. فإنى قد سئمت العشق ..
والقلب الذى ناديته سئم الخنوعا)

لكن وجع ..
منقار صغيّر نغمش القلب اللى طالع ع المعاش
منقار صغيّر صحّى فيه الأسئلة والانتعاش
سحب البطاقة والجواز والتذكرة..
واستنى قطر الصبح ييجى ويبتدى ..
لكن ما جاش

....

تفتكرى ليه لمّا الزمن يضحك باخاف؟
يمكن عشان كتر البكا .. وسنين عجاف؟
على أى حال الضحكة فى عيونك بتملانى حياة
بتشدّنى للبحر ..
وان كان بحر انا عارف مداه

....

وطلبت منّى ناخد العقلين رفاقة ع الطريق
لا نروح بعيد ..

ولا موجة تعلى حدّ فينا يموت غريق
عين الصواب ...
لكن الجواب ..أول جواب
هيّج عصافير الشجر من ع الشجر
ورمى الحجر ..
خلى حباب الميّة موج
ردّيت عليه ...
ردّيت قلت بتقسى ليه !!
وانا كنت فاكر القسوة أحيانا دوا ..
لكن الهوى ..
له سكة تانية مالها دعوة بالعقول
....
يكفيني شرك .. واشبع انت بخيرك
وان شفت غيري بكره اشوف انا غيرك
يادى الزمن يا للى ما تسعد مرّة
ولا طيرى يلقط حبته مع طيرك
....

عِليت ما بينى وبينك يا هوى الأسوار
واتكومت أسرار ..
البرتقال ع الشجر .. والقلب قايد نار
لكن عيون النهار ما تعدى نملاية
وان قلت آه غصب عنك تبقى عملاية
والقلب عمره ما كان مكنة تدور بزرار
....
القلب دا بين أيادي اللى خلق وانشا
يحب إن شا .. وينسى كل شيء ان شا
ونا مش حاقول القانون على أرضكم إنشا
لكن الهوى له قانون .. وبيقبل الأعذار
....
أفدى عيونك بعمرى تضحكى على طول
ينزل عليك الهنا ما ينتهى له هطول
وان مال عليك الزمن .. يا ما علىَّ مال
دا برضه إسمه الزمن ..
وأكيد أكيد حيطول.

(٢٧)

مترين تلاتة اربعة وسط الزحام يا ناس
لا اشوف ولا اسمع ولااتكلم .. ولا أنداس
ألملم اللى انقطع .. وافتل حبال قلبى ..
أحس بالدم فى قلبى .. وبالأنفاس
....
ساعتين تلاتة اربعة فى العمر دا يا رب
أعيش مع النجمة واتملى عيون الحب
يا رب إنت الجميل اللى تحب الجمال
ساعتين فى خمسين سنة حينقصوا الأردب ؟؟

(٢٨)

يسألونك عن ليالي اسكندرية ..

قل : عذاب

بحر واسع ترمى فيه الأسئلة يطلع وينزل ..

ترتمى ع الشطّ موجة تنام .. وما تردش جواب

السّمك للصيّادين ..

والسّفر للموعودين ..

واحنا باقى الموجودين ..

كلنا نحب القمر .. والقمر طبعه الغياب

يسألونك عن ليالي اسكندرية .

....
يسألونك عن عيون ..
لم يزل فيها الجنون ..
سيّد العشق المطاع
دوّبتني ف سحرها
واحتواني بحرها
سِبت فيه القلب ضاع
قلب حاول ألف مرّة ..
ينسى لكن ما استطاع
قلب عمره ف مرّة ما اتعلم وتاب
يسألونك عن ليالي اسكندرية
....
[يسألون عن ائتلاق الحلم في عينيك ..
لا تنكره .. واترك للهوى عينيك ..
واستفت الشّباب
لا تقل إني رضيت من الغنيمة بالإياب
لا تقل ولّى زمانك .. إنها الأيام ..

لا ترمى بسهم للهوى إلا أصاب ..
يسألونك عن ليالي اسكندرية ...
قل : عذاب]
....
من المعمورة للقلعة
وموج البحر نار والعة
وانا فى النّزلة والطّلعة
ألاقى البحر ودّا وجاب
....
[يسألونك هل تغنِّى
حين يأخذك التّمنِّى
قل نعم طبعا وإنِّي ..
دائم التجوال أطرق كل باب
يسألونك عن ليالي اسكندرية]

(٢٩)

لا انت ولا هىّ اشتغلتوا مغنّواتية
ولا حدّ فيكم سرح بالتّانى ع الميّة
يا " سانتياجو " السّمك مالى البحور ملايين
واشمعنى هىَّ اللى جت فى الغيّة والنّيّة
....
بحرك صبى يا عجوز .. إنت العجوز وحدك
السّهل أول طريقك .. والصّعيب لحدك
ومهما طالت حبالك وابتسم وعدك ..
البحر بعدك يعيش .. والسِّيرة منسيَّة
....
غاوى تصيد فى البعيد .. صيد البعيد يحلى
لكن تعالى بقى شوف آخرة الرحلة

لمّيت عليك " القروش " والقرش يستحلى
صيدك يخلّص عليه.. ولا لك حداه ديّة

....

خلّيك هنا ع الشّطوط .. صيد الشّطوط مأمون
يمكن قليّل شويّة .. إنما مضمون
وارض بحياتك هنا واعصر عليها لمون
مش كل مرّة حترمى تلقى بلطيّة

....

عملت إيه بالكتير ماهو راح خلاص منّك
ورجعت من رحلتك بعد ان كبر سنّك
لا رمح فى ايدك .. ولا صاحب يحوش عنّك
ع الشط عسكر .. وفى الميّة الحرامية

....

يا سانتياجو الوداع .. صيّاد عنيد إنسان
فارس نبيل محترم .. يا ما اضيع الفرسان
يا سانتياجو الزمن ما يعرف الإحسان
لكن عشان خاطرى انا .. هات مركبك ليّه.

(٣٠)

تسافر وراك العيون والقلوب
تسافر مع الشمس حتى الغروب
ولمّا الضلام يتفرد ع الدروب
نِعد الشهور الليالى الساعات
لا نعرف تعب ولا نعرف هروب
ونرجع ونستنى منك جواب
....
سنينى اللى فاتت عشانك هديَّة

وتعمل ما تعمل سنينى اللى جايّة
لا انا سانتياجو .. ولا انت فى ميّة
ولا عيونك الحلوة ردّت شباب
ولا اقدر أخبّط على كل باب
....
ويحلى ما يحلى زمانى اعمل ايه ؟
كفاية السنين اللى فاتت عليه
ويرضى ما يرضى أنا استنى ليه؟
لا بيحقّ فيّه الملام والعتاب
ولا ينتهى له فى مرّة العذاب
....
باحبك ولا عمرى أنكر ، أكيد
وحبك فى قلبى ليلاتى يزيد
لكن يعنى حافضل كده من بعيد
أعدّ الليالى وسنين الغياب
وادور عليك ما بين السّحاب ؟؟
....

واسافر ما بين الغيوب والكشوف
واسطّر لكل المحطّات كشوف
على قدّ ما القلب يعشق يشوف
وتأتى الرياح بغير المنى

....

وقد أتعبتنى وراها النجوم
وضحكت علىّ السّما والغيوم
وهدّت صبايا وشبابى الهموم
وانادى عليك ولا انت هنا

....

سلام عليك .. سلام الوداع
ويكفينى ما راح منّى وضاع
لا مين اشترى .. ولا مين اللى باع
ولا انت البخيلة .. ولا بخلت انا

....

وحطّى على شطّك المشتهى
وطيرى إلى حيث لا منتهى

وكل المعانى اللى انا كنتها
سيبها وراك ... ما تسوى عَنا ..

....

وفكّى القيود الوعود الوفا
وشدّى حزام السفر للدّفا
وقولى إذا جيت فى بالك .. كفى ..
لا وقّر دموعه .. ولا هوّ اغتنى

....

ولو مرّة جمّع ما بينّا طريق
كأنك ما شفت ف عيونى حريق
ولا حس قلبك بقلبى الغريق
وخلّى السنة تبقى خمسين سنة

....

ولو حد جاب سيرتى ما تسمعى
ودوسى على ذكرياتك معى
وعيشى حياة الهنا ... واجمعى ..

....

ولو حنّ قلبك فى مرّة لزمان
قولى له دى حاجة انتهت من زمان
وانا وعد منّى تعيشى ف أمان
لا كان فيه ليالى ......، .... ، ....
ولا كان غنا ....، ..... ، ......

....

سلامى لعيونك .... وألفين سلام
ولا يوصلك مرّة منّى ملام
ولو طال علىّ الطريق والضلام
وضهرى من الحمل فوقه انحنى ....

....

أجيب الرسايل .. واجيب الحاجات
حيطلع لى منها زمانى اللى فات
أضمّه وابوسه ... والم الشتات ...
واكمل طريقى طريق الضنّا

(٣١)

عارف مدى بحرك ودارك أوله
لكن الخرايط كل يوم بتزيد عليها بلاد ..
وهيّ تزيل بلاد
قلبك مرايتك ... لسّه بدرى ؟ ..
ولّا حتلمّى الضفاير ؟ .. والعيون ..
تقلب على موجة بعاد ؟؟
قلبك مدينة منوّرة .. وانا مش نبى ..
ما املكش غير قلمى ارتميت فوق الورق ..
وكتبت لك ..
ولا امتلك ..
إلاّ دموع القلب أهديها لعطر الياسمين ؟؟
وانا عطر ايه ؟
أنا حتى مين ؟!!
....
باتمنّى لو تفضل حاجاتى جوّه قلبى ..

حتى لو قلبى انحرق
باتمنّى لو سن القلم يفضل بعيدعن وش الورق
لكن لإمتى القلب يحبس دمعته ؟
دى شمعته ..
ودى كل ما تبقى له من عمره الطويل اللى انسرق
سرقوه جميع العالمين
بتحبِّى عطر الياسمين ؟؟
وانا عطر إيه ؟
انا حتى مين ؟!!
....
ما انكرش .. فى عيونك ليالى السّهد وسنين العذاب
وما تنكريش .. قدّمت لك قلبى وعيونى والشباب
لكن حمامك طار على الشّط الوريف
وفضلت انا استنى الخريف
أضحك على نفسى بوسام
الفارس اللى ما حدّ زيّه فى العفاف
ما اعرفش ليه لمّا الزمن يضحك باخاف ؟

يمكن عشان كتر البكا وسنين عجاف ؟
يمكن عشان عمرك ما قلت .
حتّى بعيونك . آمين
بتحبِّى عطر الياسمين ؟؟
وانا عطر إيه ؟
أنا حتّى مين ؟!!
....
ألفين سلام لك من دموع القلب يا عطر الحبيب
ولّا يوصلك منّى عتاب طول ما انــت عنّــى بعيــد
غريب
لكن عشان خاطري وعشان كل اللى فات ..
ما تحبنيش
حالف أطفّى نارى بدموعك ... واعيش ..
بينى وبينك فى الهوى مسافات
حالف أسامحك ..
بس لمّا العمر يدّينى عشان أوفى اليمين
بتحبّى عطر الياسمين ؟؟

وانا عطر إيه ؟

وانا حتّى مين ؟!!

....

خايف عليك منك .. وخايف م الزّمن

لو كان بإيدى كنت أدفع مهما كان غالى التّمن

داير بقلبى وقلبى داير بى ف زمن عمّال يدور

تطلع بدور ..

وتغيب بدور ..

فرّقت قلبى ع الشوارع والبيوت صدقة وندور

قلبك مدينة منوّرة ..

إزاى تردّينى وانا ..

حامل وسام المظلومين

بتحبّى عطر الياسمين ؟؟

وانا عطر إيه ؟

أنا حتى مين ؟!!

وان كنت حتردّى بجواب ..

يا هلترى بإيدى الشمال ..

أستلمه .. ولّا باليمين ؟؟

بتحبّى عطر الياسمين ؟؟

" وهمس قائلا : وفراشي .. إنه صديقي.

واستطرد قائلا : إنه فراش بكل ما في الكلمة من معنـــى ، وسيكون شيئا عظيما .. إنه مريح عندما تهزم .

ثم قال : لم أكن أعرف قط أنه مريح إلى هذا الحد .

وتساءل قائلا : ومن الذي هزمك ؟

أجاب بصوت عال : لاشيء .. أنا الذي أوغلت بعيدا "

(سانتياجو ، الفصل الخير)

محمودعبد الحفيظ

أبو غيات – سنجها – كفر صقر – شرقية

سبتمبر١٩٩٩ م

عطر الفضفضة

فى ديوان " قلب طالع ع المعاش "

للشاعر د. / محمود عبد الحفيظ

بقلم / محمود الديدامونى

شجن البعاد لوّن عيون الليل بعطر الفضفضة
والذكريات بتخلّي أنفاس الحياة تملا الفضا
وتنام على شط الوجع تواريخ ..
ينزل عليها الطّل يغزلها حكايات
يخضر طعمك يا وجع * " ١ "

من هذه المقطوعة ننطلق إلى فضاء الشاعر ونحاول الولوج إلى عالمه الشعرى نرقب معه ما يبوح به عالمه ، كيف انفعل الشاعر به وكيف أثر فيه ؟ بل كيف صاغ الشاعر حكاياته ؟ وفى أى شكل قدمها للمتلقى؟ .

- عندما يستحيل الصمت وتتقد جذوة الكلام ، يذهب المرء إلى أحد أمرين أولهما : الضحك وثانيهما : البكاء ، وهو الأكثر تعبيرا دائما خاصة لدى الشعراء ، يقول الشاعر :

مين اللي قال الدمع في عيونك يعيبك ؟ " ٢ "

هذا هو موقفه ، البكاء كائن حي يعترف بقدرته على اقتحام النفس ، وتصفيتها من أشجانها ، فبعده يشعر بالراحة ، مهما كانت المقولات التى تدعى عكس ذلك ، فهو يؤمن به ، ويصبر عليه ، ففى هذا الديوان الذى بين أيدينا ، نجد الشاعر باكيا .. كتب الشاعر ، لكنه لم يتكلم ، ترك نفسه تنساب وتنسال أحرفا على الأوراق فى صمت موجع ، نزف فيه الشاعر ميراثا .. وواقعا .. ومستقبلا ويؤكد هذه الحالة التى اعترته وهيمنت على كل مناحى الحياة حوله :

جفّ القلم لمّا الكلام في القلب جف
وعلى الورق رسم العرق والدمع كف ،

خمسة ف تمانية باربعين

والعشق بعد الأربعين يبقى ترف

والناس كتيرة ع الطريق مصفوفة صف

والبغبغان جوه القفص عمَّال يقول

ليه انحرف .. ليه انحرف .. ليه انحرف ..؟!! " ٣ "

هم يستنكرون عليه مشاعره ، لقد تحولت أسمى المشاعر الإنسانية فى نظر أولئك الذين يتشدقون بسير الغير – أصبح الحب عندهم ترفا وقد يرونه جريمة خاصة عندما حدد الشاعر ذلك بمرحلة سنية ، الحب بعد الأربعين ، والسؤال الذى يطرحه الشاعر ضمنيا وهل فى ذلك جريمة ، هو يطرحه على استحياء ، وهم يجاهرون بأن ما يفعله بل ما يشعر به يعد انحرافا .. رغم أن الحال وصل عند المحب مداه :

بقى لى عشرين سنة عايش بتدبيرى

طالت حبال الدّلا .. ما عكرت بيرى

وانت اللى لسّه يا دوب ع السكة بسم الله

طيّرت نومى ... وفوّعتِ دبابيرى " ٤ "

وهذا يعود بنا إلى إهداء الديوان ، الذى نرقب فيه ملامح الرؤية عند الشاعر ، وهو فى كل ذلك يعترف بأن الأمر ليس سهلا ، بل يؤكد فى مقطوعة مكملة للمقطوعة السابقة قائلا :

بينى وبينك قطر واقف ع الرصيف

نازل أنا ..

وانت اللى لسّه بتركبى

والناس بتخلّى الشطّ يرسى مركبى

سلمت ع الشط البطاقة والجواز والتذكرة
وختمت أوراقى اللى فاضلة كلها بختم الرجوع
نازل أنا .. " ٥ "

أى قطار يتحدث عنه الشاعر ؟ ، هو يعترف ضمنيا بقطار الزمن ، يقترب من محطته الأخيرة بالنسبة له ، بينما هى لا تزال عشبا أخضرا يتلمس الفرصة للحياة والوجود ، يقدم الشاعر هنا من خلال هذه القصيدة ، مساحات شاسعة من الحوار ، ويمنحنا فرصة للتخيل ، ماذا يحدث لو ابتعد المحبوب عن محبوبته ؟ كيف يواجه هذا المصير المحتوم ؟ هو يدرك هذا المصير لكنه يقاومه ، من خلال هذا العناد الذى ضمنه الإهداء :

" فإن تمنعوا ليلى وحسن حديثها
فلن تمنعوا مني البكا والقوافيا " " ٦ "

سيظل يبكى ويقول الشعر ، وهذا يعود بنا إلى طبيعة الشعر ودوره فى تخطى الحواجز الزمانية والمكانية ليكون هو الفاعل فى الوجود الإنساني ، " إذن، الشعرية وما تتضمنه من حنين وخيال ورغبة في الإبداع، والخلود ومقاومة الموت، كلها تجعلنا كائنات ننجذب إلى الماضي ورموزه. وكما يعبر الكاتب الأرجنتيني الكوني بورخس بهذا الصدد، إذ يقول: «البشر يحبون الماضي، وحيال ذلك لا أستطيع شيئاً أنا وجلادي، لكن في يوم من الأيام سيكون هناك رجل له رائحتي، وهذا الرجل سيهدم أسواري، كما هدمت الكتب، وسيمحو ذاكرتي، وسيكون ظلي ومرآتي دون أن يعلم». " ٧ "

إن هذا الديوان الذى بين أيدينا ينبع من تجربة وجودية ، ولا يهم فى الواقع إن كان الشاعر قد عاش هذه التجربة ، أو نسبها لأحد غيره ، ما يهم فى الواقع هو العملية التى تنتقل بها الذات من الممارسة إلى المعرفة ، والتى تسمح برؤية مغايرة لتلك التى ارتبطت ذهنيا بالفلاسفة والعلماء ، ولقد ذهب " ميشال سير " إلى أن هناك شمسين شاملتين : العقل والألم .. لم يعرف العلم بعد لغة النحيب ، فى هذا المكان المأساوى يبدأ عقل الثقافة الثالثية ، نحن نفكر ونعرف ونتألم .. نحن نعرف من خلال المؤثر العاطفى والعقل ، غير المنفصلين والشاملين ، أحدهما فى قلب العلم والآخر فى صميم الثقافة ، نحن نفكر لأننا نتألم ، ولأن هذا الألم موجود ..

يعبر الأدب إذن عن كونية من طراز آخر ، قائمة على تجربة خاصة لا يتحقق معناها كله إلا إذا وعت الذات التي تصوغها البعد الأنثروبولوجي للتجربة ، وحاولت تجاوز المتخيّل للدخول فى الرمزى ، وفى هذا المنظور ، لا تعود الذات ترى نفسها كوحدة مطلقة ، ولا ترى غيرها كما تريد أن تراه ، بل من خلال ما هو مشترك فيهما ، من خلال انتمائهما الواحد إلى البشرية باعتبار ما يُكونهما . " ٨ "

- **جنس أدبى جديد :**

إن ديوان " قلب طالع ع المعاش " يعد تواصلا جميلا مع مسيرة الشعر الطللي ، يتناص معه أحيانا فى حجم البكاء ، لكنه أبدا يعبر عن ذات مفعمة بالحزن مليئة بالأسى ، من منطلق مغاير لا يعرف التوسل ، ولا

يعرف البكاء من أجل البكاء ، بل من منطلق الكرامة والشموخ والكبرياء ، هذه المغايرة ولّدت جنسا أدبيا جديدا يقوم على رافدين أساسيين للغة العربية ، الفصحى والعامية ، هو موجود بالفعل ، لكنه لم يكن أبدا متوهجا ومنظما بمثل ما هو متوهج ومنظم هنا فى هذا الديوان الملحمة القصصية إن جاز القول ، فالشاعر يصوغ قصيدته فى قالب يجمع بين الفصحى والعامية ، ليس من باب التطعيم والتلاعب باللغة كما يفعل البعض من شعراء العامية ، ولكنه يفعل ذلك تنغيما وتنظيما وعناقا حقيقيا حميما بين الفصحى والعامية من خلال مقاطع منتظمة من وجهى اللغة ، يسهم كل وجه منها فى وضع لبنة مكملة للأخرى ، ولا يمكن هنا أن نصدر حكما عشوائيا ، بل هى رؤية تستند على قراءة ، ولنقرأ سويا هذه المقاطع المتواصلة من شعر الفصحى وشعر العامية ولنحكم على مدى تماسكها :

كنت اشتكي أيام ما كان العمر يسمح .. والشباب
كانت عيوني ،
ع الطريق مرّة .. ومرّة ع الكتاب
لمّا استلمت البندقية وشفت ع الشط الكلاب ..
أجّلت حاجتي كلها ..
ورسمت صورتك ع الخليج
....
(وعلى الخليج ..
علمت قلبي كيف يعشق أرضه ..
ويؤجّل الأحلام حتى ينتقى وطنا لها ...

وقرى تقيم العرس فى وضح النهار
علمته أن الطريق إلى عيون الأمهات ..
يضيئه ومض الشفار
أنّ الفرار ..
عار .. وأن الصمت عار
أن البدايات التى تهتزُّ فى رحم تموت ..
أن البيوت على البراكين القديمة ...
لا يقرّ لها قرار)

وينسحب الحكم على الديوان القصيدة كله هكذا ، هذا العناق المحكم ، والقدرة على الإيحاء بأن القصيدة تسير بلغة واحدة ، ليس هناك ثمة فواصل تعوق قدرة المتلقى على التواصل مع النص الشعري . ولعل موضوع القصيدة ، والحالة التى خرجت من رحمها جعلتنى أتذكر قصيدة " شموس أوراق الخريف المائلة إلى المغيب " لفيكتور هوجو:

غربت الشمس فى هذا المساء فى السحب
غدا تأتى العاصفة والمساء والليل
ثم الفجر وضياؤه كالبخار المحقون
ثم الليالى ، ثم النهر ، والزمان لا ينقضى
هذه الأيام كلها تمر ، تمر زرافات
فوق سطوح البحار ، فوق سفوح الجبال
فوق أنهار الفضة ، فوق الغابات حيث يحوم
ما يشبه النشيد الغامض لأحبائنا الأموات
صفحة المياه ، وقمم الجبال
المجعدة دون أن تشيخ ، والغابات الدائمة الاخضرار

ستجدد شبابها ، ونهر الحقول
سيأخذ المياه دوما من الجبال ويقدمها للبحار
أما أنا ففي كل يوم يزداد انحناء رأسى ،
أسير، وحين تبردني هذه الشمس الفرحة ،
أنصرف قريبا ، وسط الغبطة
من دون أن ينقص العالم الواسع والسعيد شيء " " ٩ "

لا شك أنه يمكننا ملاحظة أن الشاعر يعود من خلال سلسلة المتوازيات ، إلى الموضوع المطروق المتعلق بالمقابلة بين خلود الطبيعة ، وقصر الحياة البشرية المحكومة بالشيخوخة والموت ، وهنا يمكن أن نكتشف أن كل مّا جاء بقصيدة "هوجو " يسوقنا إلى البيت الأخير ، على هذا المستوى ، هل سيبقى للقصيدة " معنى " يمكن تحويله إلى مضمون فكري ..

وهنا نلمح هذا التوجه من شاعرنا الدكتور محمود عبد الحفيظ ، القصيدة كلها تسير نحو الخاتمة :

ألفين سلام لك من دموع القلب يا عطر الحبيب
ولّا يوصلك منّى عتاب طول ما انت عنّى بعيد غريب
لكن عشان خاطري وعشان كل اللى فات ..
ما تحبنيش
حالف أطفى نارى بدموعك ... واعيش ..
بينى وبينك فى الهوى مسافات
حالف أسامحك ..
بس لمّا العمر يدّينى عشان أوفى اليمين
بتحبّى عطر الياسمين ؟؟

وانا عطر ايه ؟

وانا حتّى مين ؟!!

....

خايف عليك منّك .. وخايف م الزّمن

لو كان بايدى كنت أدفع مهما كان غالى التّمن

داير بقلبى وقلبى داير بى ف زمن عمّال يدور

تطلع بدور ..

وتغيب بدور ..

فرّقت قلبى ع الشوارع والبيوت صدقة وندور

قلبك مدينة منوّرة ..

إزاى تردّينى وانا ..

حامل وسام المظلومين

بتحبّى عطر الياسمين ؟؟

وانا عطر ايه ؟

أنا حتى مين ؟!!

وان كنت حتردّى بجواب ..

يا هلترى بايدى الشمال ..

أستلمه .. ولّا باليمين ؟؟

بتحبّى عطر الياسمين ؟؟

ولعل ما ذكرنى بقصيدة " فيكتور هوجو " ، هو تلك الحالة الشعورية المهيمنة على ديوان " قلب طالع ع المعاش" ووضع الشاعر الديوان بين شقى رواية العجوز والبحر... بين :

" لماذا خلقت الطيور الصغيرة بهذه الرقة . والمحيط بهذه القسوة ؟ إن المحيط رقيق ورائع ، ولكنه يستطيع أن يكون قاسيا ويتغير على هذا النحو فجأة ، ومثل تلك الطيور المحلقة تغوص وتتصيد .. إنها بأصواتها الرقيقة الحزينة أرق من أن تواجه البحر " .

(سانتياجو ، الفصل الأول من " العجوز والبحر "

و..... " وهمس قائلا : وفراشي .. إنه صديقي.

واستطرد قائلا : إنه فراش بكل ما في الكلمة من معنى ، وسيكون شيئا عظيما .. إنه مريح عندما تهزم .

ثم قال : لم أكن أعرف قط أنه مريح إلى هذا الحد .

وتساءل قائلا : ومن الذي هزمك ؟

أجاب بصوت عال : لاشيء .. أنا الذي أوغلت بعيدا "

(سانتياجو ، الفصل الأخير)

• الزمن وكاميرا الشاعر :

أعود إلى منطقة أخرى فى الديوان لا يمكن تجاهلها فهى نسيج فعال داخل الديوان ، أحد مقومات هذا العمل الشعرى القصصى ، عنصر الزمن ، ذلك الزمن العمودى الذى يغاير الحس المشترك ، الذى يهرب أفقيا مع مياه النهر .. مع الريح العابرة .. إنها اللحظة المجمّدة ، حيث ترتيب التزامنات يثبت أن للحظة الشعرية منظورا ما ورائيا ..

ولذلك يسعى الشاعر جاهدا للجمع بين الضدين فى الازدواجية ، الشاعر وحده هو الذى يرى تناقضا فى الازدواجية ، ويرى التزامن والتعاقب فى لحظة واحدة ..

الشرق شرق القلب .. والغرب الرحيل
والشمس لمّا تميل تجيب ضلك وراك
قلبي انعصر بينك وبين المستحيل
الدّقة واحدة ازاي يكون فيها اشتراك ؟؟

ولنقرأ سويا تلك اللحظات التى توقف فيها الزمن ، لتسلط كاميرا الشاعر على كل موجودات الحياة سواء تلك التى تملكها الطبيعة من سماء وأرض وبحر ونهر وليل ونهار ، وأشجار ورياح وأمواج .. مفردات الطبيعة على إطلاقها ، تشارك الشاعر همه وحزنه ، وقد يحملها بعضها ، وقد يحمل عليها أحيانا ..إنه فى حالة تناغم كامل مع الطبيعة ، خاصة الطبيعة التى وجد فيها فضاءً واسعا للبوح (تماما كما فعل سنتياجو ..) .. البحر .. فضاء إسكندرية ... هناك عوامل مشتركة بين الشاعر وسنتياجو ، فكان من الواجب أن يكون الديوان كله عبارة عن بث المواجيد وخلق الحوار مع سنتياجو ، وهذه نقطة غاية فى الأهمية .. وهى خلق تجانس بل جعل ذلك المحاورة التى افتتح بها الديوان والتى انتهى بها الديوان أيضا ، من لحمة الحدث ومن لحمة الروح الطاغية لهذا الديوان القصيدة ... وهذا يدفعنا أيضا للعروج على طبيعة ما كتب الشاعر ، كما سبق وطرحنا فى صدر القراءة من تساؤلات ، هل هو شعر فقط ؟ أم قصة شعرية ؟ أم قصة ؟ أم ماذا ... ؟

الواقع أننى أجبت وقلت إنها تقترب من روح الملحمة ، وإن كنا نحن العرب لم نكتب الملاحم الشعرية بمعناها الإغريقي ، وإنما نجد داخل الديوان كل مستلزمات العمل ليصبح ملحمة من شعر وهو عنصرها الذى تصاغ به ، والقص وهو عنصرها الذى تقدم من خلاله ،

وحواراتها من حيث تجسيد الشخصيات التى تدفع بالأحـــداث ..المهـــم أننى لا يمكن أبدا أن أقع فى شرك أن أطلق عليهـــا ملحمـــة بمعناهـــا الحقيقي ، بل هى تقترب من تلك الروح ، ولنعد مرة ثانية لتلك اللحظة التى توقفت فيها الحياة ليرصد الشاعر ما يريـــد أن يرصـــده ولنـــرى امتلاكه لكل الأدوات التى طوعت عنصر الزمن فى يمينه :

الشمس في قلب السما متسمرة
والصيف عفاريته على سطوح البيوت متشمرة
وعلى الطريق صرِّيخ ما تلقى ..
وان لقيت .. ما تلقى شبرين ضل
الصهد خلى الدم في عروق الحياة يتشل
الإيد يا دوب تمسح عن الوش العرق
والرّجل فوق الأرض حمل سنين ..
على ضهر الزمن هدّه انخرق
وانت الوحيد واقف بطولك ع الطريق ..
بعيون حزينة بحلم واحد ..
من زمان متعمَّرة
والشمس في قلب السَّما متسمَّرة
....
صوتك في قلبي ..
ألف حاجة بتاخده مني بعيد بعيد
صوتك في قلبي ألف حاجة بتخنقه
وان عيني غفلت مرة واحدة في السنة ..

أحلم بصوتك والعساكر جاية واخداه في الحديد ..
بتعلقه على أعلى جامع في البلد .. وبتشنقه
وعيون كتيرة جاية من كل السكك متنمَّرة
والشمس في قلب السما متسمَّرة

....

صوتك في قلبي كان زمان ... هوَّ الأمان
كنت اسمعه .. وكأني باسمع صوت أدان
صوتك في قلبي ..
زي صوت " رفعت " في أول ليلة في رمضان
وانا من زمان محروم من الأحضان
لا عيون تدفّي القلب نظرتها .. ولا فيضان
صوتك بعد ..
رقصت عفاريت النهار في الضل
والصهد خلى الدم في عروق الحياة ينشل
عشش في قلبي الحزن .. والفرح انقتل
سنتين تلاتة القلب أصبح للهموم مستعمرة
والشمس في قلب السما متسمرة

....

لو كان بإيدي أشتري الدنيا ..
واخلّي في إيدك المفتاح
لو كان بإيدي أعرف الغيب والقدر..
واختار لك الأفراح
نفسي اوعدك ..

قلبك على شطّي أنا يرتاح

نفسي أوعدك ..

لكن الزمن واقفلي بالمرصاد

فارد شباكه ..

لا افتكر ضحكة عيونك لمّا أشتاق لك ..

ولا يطلع صباح

نفسي اوعدك ..

لكن صواريخ الزمن منصوبة فوق الشّط

طار الحمام أو حط

قاصداني انا ..

الليل بطوله أزرعه أحلام هنا ..

وعند الحصاد ..

ألقى سفينتي ع الشُطوط متدّمرة

والشمس في قلب السما متسمَّرة

....

قلبي زرعته لاجلك انت جنينة ..

فيها الورد .. والياسمين

وحلفت ما يدخلها غيرك حتى لو كان مين

واخترت لك أجمل نجوم طالعة ف سما ..

واخترت لك أجمل عيون متبسمة

واخترت لك أجمل طريق تمشي عليه

وقريت عليك ألف تعويذة حسد

وفتلت حبلين من مسد ..

لا يلمحك راجل .. ولا ..
تخطر على بالي ، ... ، ...
والشمس في قلب السما متسمَّرة

تحياتى للشاعر الدكتور محمود عبد الحفيظ ، على ديوان خلق داخلنا كل هذه التساؤلات ، وقدم لنا رؤية متمايزة ومتميزة فى عالم الشعر الباكى ، وكما قلت ، ليس البكاء هنا من أجل البكاء ، بل كان حفظا لما تبقى فى الوجوه من مياه . بكاء الكرامة والثورة والحياة .. لا بكاء النحيب والموت ..

الهوامش :

١. قلب طالع ع المعاش .. الديوان
٢. السابق .... الديوان
٣. السابق الديوان
٤. السابق الديوان
٥. السابق الديوان
٦. من شعر توبة بن الحمير
٧. البكاء على الأطلال ليس حكرا على العرب .. نظم مهنا
٨. السابق
٩. الديوان
١٠. قضايا أدبية عامة...... د. لطيف زيتونى .. عالم المعرفة

سيرة ذاتية

مواليد يوليو ١٩٥٠

كفر صقر – الشرقية

أستاذ الأدب العربي المساعد – جامعة الزقازيق

الإصدارات الشعرية :

١. السفر إلى بيتنا القديم ١٩٨٥
٢. من أين يأتي الصبح ١٩٨٩
٣. أول ما نبدي القول ١٩٨٩
٤. النوم على صدر الوطن ١٩٩٧
٥. قتـــــافيــــت ١٩٩٩
٦. قلب طالع ع المعاش ٢٠٠٧

تحت الطبع

عين شين قاف (فصحى)

نشرت جميع قصائده بالفصحى والعامية بالمجلات والدوريات المصرية

الجوائز :

جائزة الشعر من المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٠

العضويات :

رئيس نادى الأدب بكفر صقر منذ تأسيسه ١٩٨٠

عضو النادى الأدبى بالشرقية

عضو مشارك فى المؤتمرات والمهرجانات الثقافية والأدبية

للتواصل مع الشاعر : ٣١٢٠٠٣٩ / ٠٥٥

٠١٠ /٢٧٧٦٨٥٨

رقم الإيداع بدار الكتب
٨٤٥٨ / ٢٠٠٧
ترقيم دولى I.S.B.N
977-374-281-4

دار الإسلام للطباعة والنشر
٠٥٠ / ٢٢٦٦٢٢٠
٠١٢٢٦١٤٣٦٣